مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 03 جوان (2021) - ص 208.- 219

الفعل ودلالاته الزّمنيّة في قصيدة "الطّين" لأبي القاسم سعد الله

The verb and its temporal indications in the poem of □Ettine□ of Abu el-Kacem Saadallah

دادو فاطيمة الزهرة[1] صفية مطهري[2]
[1]Fdaddou7@gmail.com [2]Smetahri@gmail.com
مختبر الدّلالة في المستويات اللّسانيّة في التّراث الأدبيّ الجزائريّ
جامعة وهران أحمد بن بلة 1/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/27 تاريخ القبول: 2021/01/11 تاريخ النشر: 2021/06/05

ملخص البحث

يُعدّ الزّمن من القضايا الّتي شغلت الدّارسين بكثرة، فهو عماد للنّظريّات الفلسفيّة، ومقنّن للظّواهر الكونيّة، وموجّه لأغراض الكلام، ولذلك أسّسنا عليه دراستنا الّتي سعينا من خلالها إلى توسيع الاحتمالات الدّلالية الّتي تُحرّر الفعل من قيود الهرم الزّمنيّ الثّلاثي.

وممّا استنتجناه من هذه الدّراسة، أنّ للفعل العربيّ قابليّة لتجاوز قيود الزّمن المطاوعة لقواعد النّحو التّعليميّ، وأنّ إحالاته الزّمنيّة خاضعة للأغراض التّداوليّة، وهذا ما أتاح لصاحب القصيدة فرصة التّمرّد على قيود الصّرف، خدمة لأهدافه وأغراضه.

الكلمات المفتاحية: الفعل- الدّلالة- الزّمن- الطّين- أبو القاسم سعد الله.

ABSTRACT:

The question of time is considered as tremendous issue for many researchers, it is the cornerstone of philosophical theories, and the codified of cosmic phenomena as well as the speech purposes orientation. This why we have focused our study on these particular points with a willingness to expand the semantics probabilities that liberate the act from the pyramid time constraints.

During our survey we have noticed that the arab verb is able to exceed temporal restrictions complying with the educational grammar rules, however it's time assignments are subject to deliberative purposes. yet, this gave the poet an opportunity to play with morphological rules according to his aims and objectives.

Keywords: The verb, semantics, time, Ettine, Abu el Kacem Saadallah.

[1]المؤلف المرسل : دادو فاطيمة الزهرة

1. مقدمة:

لقد حظي الفعل باهتمام اللّغويّين، فعني الصّرفيون بحصر صيغه وأوزانه، والنّحويون برتبته ودوره في توجيه الأحكام الإعرابية والعلاقات النّحوية، والدّلاليون بالبحث عن ملامحه الدّلالية التي ينطوي عليها وزنه الصّرفي أو نسقه التّركيبي، ولمّا كانت صياغته تخضع للذّوق والقصد، عُني الأدباء بانتقاء ما صحّ منه للإفصاح عن أفكارهم ومشاعرهم، واعتبره الدّارسون بؤرة اهتمامهم، فراحوا يتقصّون دلالاته.

فكان مدار دراستنا حول هذا الرّكن ومدى خدمته لمقاصد الكلام؛ من خلال ما تُفصِح عنه صيغه الزّمنيّة وأسيقته، وذلك في قصيدة جزائرية يعكس فيها أبو القاسم سعد الله* واقع الجزائري المنتفض ضدّ وضعه، فهل يمكن لدلالات الفعل أن تتجاوز نطاق الصّيغة التي حوتها؟ أم أنّها مرهونة بالأزمنة الثلاثة المشهورة؟ وهل استطاع أبو القاسم سعد الله أن يصوّر معاناة شعبه باستخدامه لأفعال ذات دلالات مفتوحة؟ أم أنّ انتقاءه لهذه الأفعال كان ذا ضرورة معجمية لا تتعدّى مناسبة الفعل للمعنى المراد؟

وأبو القاسم سعد الله قد بنى خطاباته الشّعريّة على أساس المسار الدّلاليّ الانزياحيّ، فتجرّد من المعايير الّتي تربط الفعل بالزّمن الصّرفيّ، وفتح آفاقا دلاليّة جديدة تستوعب أزمنة غريبة عن الصّيغة الصّرفيّة للفعل، ليبثّنا أفكاره وانتفاضاته.

إنّنا نرمي في دراستنا إلى استبطان فكر الشّاعر وملامسة أعماقه، للوصول إلى فكّ رموز تعابيره، وربطها بأزمنة تستحضر الماضي الأليم تارة، وتعيش الواقع بكلّ الجوارح تارة أخرى، وتنفلت أحيانا لتمدّ حبل الزّمن إلى المستقبل الّذي يتطلّع إليه هذا الشّاعر ويتنبّأ بمؤشّراته.

في هذه السّطور، سنحاول كشف الفرق بين الزّمنين الصّرفيّ والنّحويّ، ثمّ استجلاء الدّلالات الزّمنيّة لأفعال القصيدة من خلال النّظر في قوالبها الصّرفية ، ومن خلال استنطاق المؤشّرات السّياقيّة الّتي تتحكّم في تحديد المجال الزّمنيّ للأفعال.

وسنبني تحليلنا وفق المخطّط التّرتيبيّ لأزمنة الفعل، بداية بالأفعال الماضية، فالأفعال المضارعة، فأفعال الأمر، معتمدين في ذلك المنهج التّحليليّ الاستقرائي.

2. بين الزّمن الصّرفي والزّمن النّحوي للفعل

يُقصَد بالزّمن الصّرفي: "ما يدلّ على صيغة الفعل، كدلالة الفعل الماضي على الزّمن الماضي نحو: «حضر المدرّب»، أو كدلالة الفعل المضارع على الزّمن الحاضر أو المستقبل نحو: «ينام الطّفل» أو «سيسافر أخي»"[2]، لأنَّ الزّمن الصّرفي هو ما تؤدّيه صيغة الفعل مستقلّة عن السّياق[3] ، ويمكن أن نعبّر عنه بأنّه زمن الفعل الظّاهر دون ربطه بمناسبة من مناسبات الكلام.

أمّا الزّمن النّحوي فهو وظيفة السّياق الّتي تحدّدها الضّمائم والقرائن[4]، وبذلك يكون السّياق عاملا من العوامل المتحكّمة في تحديد الزّمن النّحويّ للفعل.

3. الفعل ودلالاته الزّمنية في قصيدة "الطّين"

1.3 الفعل الماضي ودلالاته الزّمنية في القصيدة:

تدلّ صيغ الفعل الماضي على أزمنة كثيرة يفصح عنها السّياق العامّ، كالحاضر والمستقبل، كما يمكن أن يستوعب الزّمن العامّ؛ وذلك إذا ورد في سياق التّقرير، ونظير ذلك ما جاء في الآية الكريمة[5]: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[المؤمنون: 01] ، غير أنّنا سنقتصر في تحليلنا على البعض من هذه الصّيغ الّتي تدلّ أحيانا على الزّمن الماضي المحض بمختلف امتداداته، وتدلّ أحيانا أخرى على غير الماضي على سبيل الانزياح.

-الدّلالة على الماضي المنقطع: وهو الزّمن الّذي حدث فيه الفعل مرّة وانقطع عن التّجدّد، كما يدخل ضمن هذا المفهوم الزّمن الماضي المنقطع عن الحاضر، ولهذه الدّلالة حضور في أفعال الآي الحكيم؛ ففي قوله جلّ وعلا: ﴿**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[العنكبوت: 44] دلالة على حدوث فعل الخلق مرّة وانقطاعه عن التجدّد[6]؛ لأنّ الخلق قد وقع في الماضي ولم يستمرّ حدوثه إلى الحاضر.

ومن الأفعال الماضية الدّالّة على الزّمن الماضي المنقطع في قصيدة "الطّين" الفعل "قال"، الوارد في قول أبي القاسم سعد الله:

"قُلْتُ لِلْأَرْضِ الَّتِي فِيهَا رُفَاتُ أَبَوَيَّا

لِمَ نَحْنُ قَدْ خُلِقْنَا هَكَذَا طِينًا دَنِيًّا"[7].

كونه وجّه خطابه للأرض الّتي ضمّت بقايا أبويه، وهذا الحوار قد جرى بين شاعرنا وبين أرضه في زمن سابق دون إشارة إلى تجدّده، غير أنّ سياق نقل الخبر وعرض تفاصيل الحوار قد تحكّم في حصر هذا الحدث في الماضي المنفصل عن حاضر الإخبار والمنقطع عنه.

كما تجسّدت هذه الدّلالة في الفعل "خُلِقَ" في المقطع نفسه، فالشّاعر يسأل الأرض الّتي حملت على ظهرها أجيالا متتالية من البشر، ويستفسر عن السّبب الّذي جعل هؤلاء البشر حاملين للدّناءة، والشّاعر لا يخصّ عيّنة من البشر قد خُلِقَتْ جُملة واحدة، وإنّما يعمّم بالقول كلّ الأجيال البشريّة الّتي تشترك في حدث الخلق الّذي كان يتجدّد كلّ حين، غير أنّ هذا الخلق رغم تجدّده في الماضي، فإنّه بقي محصورا في هذا الزّمن، منقطعا عن الحاضر، باعتباره حكما لا يمكن تعميمه على كلّ أصناف البشر، فلكلّ جيل حظّ من الرّفعة والدّناءة.

كما دلّ على ذلك أيضا الفعل "خرج" الوارد في قول هذا الشّاعر:

"ضِقْتُ بِالهَمِّ الّذي أَرَّقَنِي طولَ اللَّيَالِي

فَخَرَجْتُ، لَسْتُ أَدْرِي، هَائِمًا عَبْرَ التِّلَال

إِذْ رَأَتْ عَيْنَايَ نَسْرًا حَائِمًا فَوْقَ الجِبَال"[8].

وخروج الشّاعر حدث في الماضي، وقد دلّ على ذلك مؤشّر السّرد الّذي يرتبط عادة برواية أحداث ماضية؛ يفصلها عن الحاضر فاصل يجعل السّارد يستحضر الحدث ذهنيّا ليعيد تصويره للسّامع، وهذا ما لمسناه في قول أبي القاسم سعد الله؛ إذ نجده ينقل لنا ما حدث له بعد شعوره بالضّيق والأرق، فخرج بحثا عن سبل تأخذ بيده إلى الرّاحة.

ويواصل أبو القاسم سعد الله سرد هذه الأحداث وتصويرها، فيحاول بذلك تصوير تفاعله مع موقف المجاهد الفذّ الّذي اندفع نحو أهدافه وحرّيته اندفاعا جعل الشاعر يصفه بالنّسر الّذي أشعل نار الحماس في نفسه، فراح يستعيد هذا الحدث، ليجعل منه أداة فعّالة في إيقاظ شعلة التّحرّر في أفئدة شعبه.

كما أنّ "إذْ" وقعت -في هذا المقام- موقع المفعول؛ ذلك أنّ النّحاة قد مالوا إلى وضعها موضع المفعول به الّذي يكون فعله "أُذكُر" محذوفا[9]، غير أنّ الفعل المحذوف هنا قد خرج عن حدود المستقبل الّذي يُعبَّر عنه بصيغة الأمر"أُذكُر"، ليعبّر عن حدوث الفعل "أَذْكُرُ" في الحاضر؛ لأنّ الشّاعر يروي ما رآه في الماضي، وفعل الرّؤي يقتضي منه تذكُّر الحدث لنقله بصدق، وهذا التّذكّر قد راود شاعرنا في الحين الّذي كان يسرد فيه ما رآه سابقا، فكأنّه يقول: "أَذْكُرُ رُؤيتي لنسر حائم فوق الجبال"، وبذلك تكون الرّؤية الّتي تذكّرها عبارة عن حدث سابق لحدث التّصريح بالتّذكّر ومنقطع عن زمنه.

وتحضر دلالة الماضي المنقطع أيضا في قوله:

"دَخَلَ الغَابَةَ نُمْرُودٌ رَهِيبٌ مُتَدَرّع

فَمَشَى مِشْيَةَ لَيْثٍ مُكْفَهِرٍّ يَتَدَفّع

نَحْوَ غَايَاتٍ تَرَاءَتْ فِي ظَلَامٍ يَتَقَشَّع"[10].

فالمُكنَّى عنه بالنّمرود مجاهد دخل غابة الحرب متدرّعا بسلاحه، ومشى في تدفّع إلى العدوّ لينتزع منه حرّيته، معلنا عن استعداده للمقاومة من أجلها، وهذان الحدثان قد وقعا أمام ناظر الشّاعر، فراح يستعيدهما متفاخرا بإنجاز أبناء قومه، حيث تزامن دخول الغابة والمشي إلى العدوّ مع نداء الثّورة، ليهبّ هذا النّمرود ملبّيا للنّداء بالانضمام إلى صفوف جيش التّحرير، والانضمام الّذي يجسّده الفعلان "دخل" و"مشى" قد حدث مرّة في الماضي وانقطع؛ إذ يستحيل أن يتجدّد بعدما قرّر المجاهد خوض غمار الحرب.

-الدّلالة على الماضي المتجدّد: كما دلّ الفعل الماضي على الانقطاع في الزّمن الماضي، فإنّه يدلّ أيضا على التّجدّد في الحدوث في حدود هذا الزّمن، وممّا يجسّد ذلك قوله عزّ وجلّ[11]: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النّساء/167]، حيث أقرّ المفسّرون بتجدّد حدوث الفعلين "كفر" و"صدّ" في الماضي.

وتتجسّد هذه الدّلالة -في القصيدة- في الفعل "تَراءَى" الوارد في قول الشّاعر:

"دَخَلَ الغَابَةَ نُمْرُودٌ رَهِيبٌ مُتَدَرّع

فَمَشَى مِشْيَةَ لَيْثٍ مُكْفَهِرٍّ يَتَدَفّع

نَحْوَ غَايَاتٍ تَرَاءَتْ فِي ظَلَامٍ يَتَقَشَّع"[12].

فالغايات -الّتي كان الثّائر يتدفّع نحوها- لم تكن ظاهرة جليّة: ذلك أنّ الحرّية والسّيادة لم تكونا لتظهرا بوضوح منذ بداية المقاومة، وإنّما تتدرّجان في الوضوح كلّا اشتدّت رحاها واقترب المجاهد الثّائر من تحقيق الهدف، والتّدرّج في الحدوث يقتضي التّجدّد مرّة بعد مرّة، مع تفاوت في درجة الحدوث وفي جزئيّات الزّمن العامّ؛ المتمثّل في الماضي الّذي استقى منه أبو القاسم سعد الله ذكريات الأحداث ليبثّها مسامع شعبه، جاعلا منها عبرة ودربا للمثاليّة.

-الدّلالة على الماضي المستمرّ المنقطع عن الحاضر: قد يحدث الفعل في الماضي ويستمرّ مدّة معيّنة، وينتهي حدوثه قبل أن يتمّ الإخبار به، فيكون بذلك مستمرّا في الماضي، منقطعا عن الحاضر الّذي لا يعدو أن يكون مجالا للتّعبير عنه لا غير، وهذا إذا جاء على صيغة "كان يفعل"، ودليل ذلك قوله عزّ وجلّ[13]: ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ**﴾ [مريم/55] ، فسياق الآية يدلّ على استمرار الأمر بالصّلاة والمداومة عليه في الماضي، لذلك نجد صاحب القصيدة يقول: "كَانَ يَمْشِي لَا يُبَالِي فِي انْدِفَاعٍ وَتَطَلُّع"[14]، فينقل إلينا حدثا قد مضى، متمثّلا في المشي الّذي استمرّ مدّة في الماضي؛ لأنّ المجاهد استمرّ في ملاحقة أهدافه مصرّا على بلوغها أو الهلاك دونها، ليأتي شاعرنا ويضمّن حاضره سرد هذا الحدث تخليدا لبطولة هذا المجاهد.

-الدّلالة على الماضي المستمرّ المتّصل بالحاضر: ومن الصّيغ الدّالّة عل ذلك: "ما زال يفعل"، و"ما برح يفعل"، و"ما انفكّ يفعل"[15]، غير أنّنا وجدنا في القصيدة ما خرج عن هذه الصّيغ إلى صيغة الماضي البسيط وتضمّن دلالة الاستمرار.

ففي قول صاحب القصيدة:

"ضِقْتُ بِالهَمِّ الَّذِي أَرَّقَنِي طُولَ اللَّيَالِي

فَخَرَجْتُ، لَسْتُ أَدْرِي، هَائِمًا عَبْرَ التِّلَال"[16].

في قوله إخبار بحدثٍ لازم النّاظم لمدّة طويلة، وهذا الحدث قد عبّر عنه شاعرنا بالفعل "أرّق" المُسنَد إلى "الهمّ" الّذي كان يملأ نفس الجزائريّ الرّافض للعيش المهين، والدّائم التّفكير في حيلة لتغيير الوضع المفروض عليه، واستمرار التّفكير تابع لدوام الهمّ واستمرار تسبُّبِه بالأرَق لحامله، وإذا علمنا - من سياق الأبيات- أنّ الشّاعر قد نظم قصيدته بعد عام وبضعة أشهر من بداية الثّورة، فإنّ هذا يجعلنا ندرك أنّه كان لا يزال يحمل همّ بلاده حتّى زمن إصداره خطاب القصيدة، وبالتّالي استمرار حالة الأرَق لديه، واتّصالها بزمن الكلام الّذي كان يمثّل حاضر هذا الشّاعر؛ بحيث ما كان ليرتاح له بال حتّى يضمن سلامة أرضه من أقدام محتلّيها.

-الدّلالة على المستقبل: تنصرف دلالة الفعل الماضي أحيانا عن مسار الزّمن الّذي جُعِل لها إلى مسار زمنيّ آخر باستخدام الالتفات الّذي يُعدّ من قبيل العدول والانزياح[17]، فنجدها دالّة على الحال أو الاستقبال مثلا[18]، وهذا ما لمسناه في الآية الكريمة[19] ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف/47]، وقد استوفى هذه الدّلالةَ قول أبي القاسم سعد الله: "وَصُرَاخٌ مِنْ بَعِيد: عَاشَ مَنْ يَفْدِي حُصُونَه"[20]، كون الفعل "عاش" ورد في سياق الدّعاء الّذي يُنتظَر قَبوله في المستقبل.

2.3 الفعل المضارع ودلالاته الزّمنيّة في القصيدة:

ممّا اتُّفِق عليه أنّ الفعل المضارع قد وُضِع للدّلالة على الحاضر والمستقبل أصلا، غير أنّنا نجده -بالإضافة إلى هاتين الدّلالتين- ينفتح على دلالات زمنيّة أخرى، كالماضي والزّمن العامّ مثلا[21]، ولهذه الدّلالات حضور ملموس في أفعال قصيدة "الطّين".

-الدّلالة على الماضي المنقطع: وتتجسّد هذه الدّلالة في قول الشّاعر:

"ضِقْتُ بِالهَمِّ الَّذِي أَرَّقَنِي طُولَ اللَّيَالِي

"فَخَرَجْتُ، لَسْتُ أَدْرِي، هَائِمًا عَبْرَ التِّلَال"[22].

لأنّ درايته بالوجهة الّتي قصدها كانت منتفية آنذاك، وبما أنّه يروي حدثا متمثّلا في الخروج في الزّمن الماضي، ويصف هيئته أثناء قيامه بهذا الفعل؛ فإنّ هذا الوصف سيمتثل للزّمن ذاته الّذي اقترن به فعل الخروج، ولذلك يكون تقدير قوله: "فخرجت جاهلا وجهتي..."، وما يدلّ على حال الجهل الّتي صاحبت الخروج قوله: "هائما عبر التّلال"؛ إذ نلمس من خلاله لا محدوديّة القصد وإبهام الوجهة في هذا الخروج.

-الدّلالة على الماضي المتجدّد: ومثّلها الفعل "يتقشّع" الوارد في قول صاحب القصيدة:

"دَخَلَ الغَابَةَ نُمْرُودٌ رَهِيبٌ مُتَدَرِّع

فَمَشَى مِشْيَةَ لَيْثٍ مُكْفَهِرٍّ يَتَدَفّع

"نَحْوَ غَايَاتٍ تَرَاءَتْ فِي ظَلَامٍ يَتَقَشَّع"[23].

فظلام الاستبداد وسلطة القمع لا يمكن أن يغيب دفعة واحدة بمجرّد قيام الثّورة، وإنّما يتجدّد زواله تدريجيّا يوما بعد يوم بتجدّد العزم على التّحرّر.

-الدّلالة على الحاضر المستمرّ المنقطع عن المستقبل: وقد خدم هذه الدّلالةَ الفعلُ "يَعْوي" في قول أبي القاسم سعد الله:

"يَا أَخِي، وَالكَوْنُ مِنَّا فِي صِرَاعٍ وَاصْطِخَاب

ضَجَّتِ الرّيحَ وَثَارَ اللَّيْلُ وَارْتَجَّ العُبَاب

نَحْنُ مِنْ طِينٍ وَلَكِنْ حَوْلَنَا تَعْوِي الذِّئَاب"[24].

لأنّ حاضر الشّاعر الّذي نظم فيه قصيدته قد تزامن والثّورة التّحريريّة، وقد عُرِفَت هذه الفترة باحتدام الصّراع بين الجزائريّين الرّاغبين في امتلاك أزمّة أنفسهم؛ وبين السّلطات الفرنسيّة الّتي كانت تحوم بجيوشها وعتادها الحربيّ حول قرى الجزائريّين ومناطق تمركُز الثّوار، فصوّر الشّاعر هذا الحدث في منظر الذّئاب العاوية الّتي تلاحق فريستها وتحاصرها من كلّ صوب، وهذا الواقع كان مستمرّا دائما ما دام حاضر الشّاعر، فإذا تحقّق النّصر في المستقبل تغيّر الوضع وانقلب القمع والظّلم حرّيّة وسيادة.

-الدّلالة على الحاضر المستمرّ المتّصل بالمستقبل: وتحضر في قول أبي القاسم سعد الله:

"يَا ابْنَ أُمِّي أَيُّهَا الدَّامِي الجِرَاح

لَا تَرُعْ وَأَبْشِرْ بِإِشْرَاقِ الصَّبَاح"[25].

فقوله: "لا تَرُع" موجَّه إلى المجاهد المخضَّب جسمُه بالجراح، دعوة له إلى تجنّب الخوف والمهابة من العدوّ ، لأنّ شروق الصّبح بات قريبا. والتّحلّي بالشّجاعة طلبٌ يُنتظَر تحقيقه في الحاضر المليء بالمعارك والتّضحيات، كما يُنتظَر المداومة عليه طيلة هذه الفترة الممتدّة إلى المستقبل القريب الّذي سيستسلم فيه العدوّ ويعود أدباره.

-الدّلالة على المستقبل: وتجسّدت هذه الدّلالة في أفعال عدّة من أبيات القصيدة، منها الفعل "يرى" الوارد في قول أبي القاسم سعد الله:

"إِنَّ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ أَمَلٌ يَحْوِي الوُجُود

أَمَلٌ يَصْبَغُهُ دَمِي وَتَحْدُوهُ الجُهُود

أَنْ أَرَى الطِّينَ عَزِيزًا أَنْ أَرَى أَصْلِي يَسُود

أَنْ أَرَى رِجْلَيْكَ يَا شَعْبُ تَفُكَّانِ القُيُود"[26].

حيث يأمل الشّاعر أن يعيش اليوم الّذي يصبح فيه الإنسان الجزائريّ سيّدا بإنسانيّته، والأمل رغبة في حصول الشّيء مستقبَلا، وأمل الشّاعر لا يقتصر على رؤية الإنسان يسود؛ وإنّما يتّسع ليشمل الرّغبة الشّديدة في رؤية الشّعب الجزائريّ يفكّ قيوده بنفسه، وفكّ القيود كناية عن انتزاع الحرّيّة وأخذها بالقوّة، وهذا ما يُنتظَر حدوثه في المستقبل الّذي استغرقه الفعل "يفكّ" في قول الشّاعر.

كما استوعب الفعلان "يَمضي" و"يَحوز" الدّلالة الزّمنيّة ذاتها في قول أبي القاسم سعد الله: "لَيْتَنَا نَمْضِي سَوَاء، لِنَحُوزَ الفَخْرَ أَجْمَع"[27]، لأنّ التّمنّي طلب حصول الفعل في المستقبل[28]، والشّاعر يتمنّى أن يمضي شعبه في درب المقاومة. ولو كان هذا الحدث قائما في حال النّطق بالفعل "نمضي" لما لجأ الشّاعر إلى طلب حصوله.

كما والى أبو القاسم سعد الله الفعلين "يَمضي" و"يَحوز" ترتيبا لارتباطهما ارتباط السّبب بمسبّبه، لأنّ حيازة النّصر تحصل بحصول المضيّ في درب الأحرار، وكلّ ذلك يكون رهين المستقبل الّذي يتمنّى الشّاعر أن تتحقّق فيه أمنيته هذه.

-الدّلالة على الزّمن العام: قد تدلّ صيغة الفعل المضارع على استغراقه لزمن معيّن، وقد تدلّ على عموم الزّمن، وهذا إذا تعلّق سياق القول بالطّبائع البشريّة والحقائق الكونيّة، والأحكام، والعادات[29]، وسنقف عند دلالات بعض الأفعال المضارعة على الزّمن العامّ في القصيدة.

يقول أبو القاسم سعد الله:

"لِمَ نَحْنُ قَدْ خُلِقْنَا هَكَذَا طِينًا دَنِيًّا

نَسْفَحُ الدَّمْعَ وَنَمْضِي دَائِمًا شَعْبًا غَبِيًّا"[30].

فإراقة الدّمع والغباء طبيعة بشريّة تميّز العدوّ المحتلّ وتسيء إلى إنسانيته، كما أنّ هذين الحدثين يمثّلان عادة من عادات المحتلّ الّذي ألف الإضرار بالغير وعُرِف بالغباء الّذي أبانت القرينة "دائما" عن ملازمته له، لأنّ هذه القرينة تدلّ على المواظبة[31]، والمواظبة على الاتّصاف بأمر ما تنقل هذا الأمر من حكم الوصف إلى حكم العادة.

وفي قوله: "وَصُرَاخٌ مِنْ بَعِيد: عَاشَ مَنْ يَفْدِي حُصُونَه"[32]، يكشف سعد الله عن طبيعة عادة إنسانيّة متمثّلة في الذّود عن الحمى الحصين، فمن تعوّد على حماية حصنه استحقّ تحيّة غيره وتخليد ذكره، وهذا حكم وقانون من قوانين الحياة السّارية في كلّ زمان.

وفي سياق الوصف يقول أبو القاسم سعد الله:

"دَخَلَ الغَابَةَ نُمْرُودٌ رَهِيبٌ مُتَدَرِّع

فَمَشَى مِشْيَةَ لَيْثٍ مُكْفَهِرٍّ يَتَدَفّع"[33].

حيث يشبّه المجاهد الشّجاع باللّيث المتدفّع نحو المخاطر، وهذا كناية عن شجاعته، والشّجاعة من الأوصاف الثّابتة في المخلوق والملازمة له، ممّا يجعلها صالحة لاستغراق عموم الزّمن.

3.3 فعل الأمر ودلالاته الزّمنيّة في القصيدة:

لقد اتّفق آباء النّحو والصّرف على دلالة صيغة الأمر على طلب حدوث الفعل في المستقبل[34]، لكنّ من المحدثين من جعلها تستوعب الحاضر إضافة إلى المستقبل[35]، بل ومنهم من أجاز دلالتها على الماضي وعلى مطلق الزّمن أيضا[36]، وسنحلّل بعض أفعال الأمر من حيث دلالاتها على الزّمن في القصيدة.

-الدّلالة على الحاضر المستمرّ: وذلك في قول صاحب القصيدة:

"يَا ابْنَ أُمِّي أَيُّهَا الدَّامِي الجِرَاح

لَا تَرُعْ وَأَبْشِرْ بِإِشْرَاقِ الصَّبَاح"[37].

فالصّباح واقع في مجال المستقبل الّذي يتجاوز الحاضر الّذي تمّ فيه النّطق بفعل الأمر "أبشر"، والشّاعر يطلب من الفدائيّ أن يبشر بمستقبل مشرق، والإبشار فرح ومسرّة[38]، لذلك طُلِب من الفدائيّ أن يُسَرّ في الحاضر، وأن يظلّ هذا الشّعور بالمسرّة مستمرّا مصاحبا له، حتّى يأتي المستقبل الّذي يحمل له الصّباح المشرق، ولو انقطع عن هذا الشّعور لراوده الإحباط ولاستولى عليه اليأس الّذي يكسر عزيمته ويحول دون تحقيق حرّيته.

كما نجد هذه الدّلالة متضمَّنة في صيغة "خُذ" الواردة في قول أبي القاسم سعد الله:

"حَوْلَكَ الشَّعْبُ وَآمَالٌ فِسَاح

فَخُذِ الحَقَّ اغْتِصَابًا وَاكْتِسَاح"[39].

فأخْذ الحقّ طلب يُرجَى حدوثه في الزّمن الحاضر الّذي تمّ فيه التّلفّظ بالفعل "خُذ"؛ لأنّ هذا الزّمن يمثّل الفترة الّتي كانت الثّورة قائمة فيها؛ بحيث يُنتظَر من الجزائريّ أن يُسارع من الآن للدّفاع عن حقّه بالالتحاق بصفوف المجاهدين، ولمّا كان أخذ الحقّ صعبا مع محتلّ لا يرضى التّخلّي عن مطامعه؛ كانت مسيرة أخذه طويلة، تتطلّب صمودا واستمرارا وبسالة لا تنقطع إلّا بانقطاع حبل الذّلّ.

4. خاتمة:

وبعد هذه الدّراسة في الدّلالات الزّمنيّة لأفعال قصيدة "الطّين"، نكون قد وقفنا على بعض الإحالات الزّمنيّة لبعض أفعال القصيدة، وذلك بعقد مقاربة دلاليّة بين ما تقتضيه قواعد الإجراء

الصّرفيّ وما يمليه سياق نظم الأبيات من مناسبات وحيثيّات؛ جعلتنا ننفتح على آفاق الدّلالة في أفعال القصيدة.

وقد ساقنا مسار البحث إلى استخلاص بعض النّتائج الّتي نجملها في النّقاط التّالية:

-إنّ أبا القاسم سعد الله قد تخيّر الأفعال القابلة لاحتواء أكثر من زمن، وسخّرها لخدمة أغراضه الّتي تتجاوز الزّمن الصّرفيّ المتعارف عليه.

-إنّ أبا القاسم سعد الله كان واسع الأفق في استحضار الدّلالات الضّمنية التي تفرض نفسها على الأفعال فرضا انحرافيا يدلّ على احترافية النّاظم في رصفه لهذه العناصر اللّغوية؛ هذا ما يظهر في توظيفه لأفعال مضارعة لخدمة غرض السّرد المقيّد حدوثه -في الأصل- بالزّمن الماضي، وهذا كلّه من أجل جعل القارئ في الصّورة أمام ما كان يعيشه الإنسان الجزائريّ في ظلّ سياسة الاستبداد.

-لقد كان أبو القاسم سعد الله جريئا في تمرّده على الضّوابط اللّغوية التي تفرض مناسبة الفعل المعيّن للدّلالات الموضوعة له طبقا لقوانين التّصريف العربيّ.

-لقد عبّر أبو القاسم سعد الله عن الصّراع النّفسيّ الّذي ما فتئ يغزو نفسيّة الجزائريّين في حقبة الظّلام الاحتلاليّ، واختار لهذا التّعبير أفعالا وصيغا تتضارب أزمنتها وتتمرّد دلالاتها على عرف الإبداع، وهذا ما سايَر القالب الشّعريّ الحرّ الّذي صاغ وفقه أبيات قصيدته.

-لقد ناوب أبو القاسم سعد الله بين ألفاظ العربيّة القحّة وبين الألفاظ المستحدثة آنذاك، ليجعل أبياته كنانة لمعجم شعريّ غنيّ يراعي الأصالة والحداثة معًا.

ولمّا كان شعر أبي القاسم سعد الله ينزل منزلة الرّافد الأدبيّ الّذي لا يُحبَّذ الاستغناء عنه، كان لابدّ أن يُتّخَذ مرجعا للطّلّاب، يستقون منهم ضوابط الإبداع الشّعريّ وفنّيات الصّياغة الأدبيّة الخالصة.

الهوامش:

[*] هو شاعر جزائري حديث، ولد سنة 1930م، من أهمّ رواد الأدب والتاريخ، والتّحقيق، والتّرجمة، وكان أوّل من نشر قصيدةً حرّة بعنوان "طريقي"[*]، توفّي عام2013م.

[2] راجي الأسمر، 1997، المعجم المفصّل في علم الصّرف، مراجعة إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 275.

[3] ينظر تمّام حسّان، 1994، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ص 240.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 242.

[5] ينظر سعاد بسناسي، 2012، التّحوّلات الصّوتيّة والدّلاليّة في المباني الإفراديّة، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ص 21 و22.

[6] ينظر فاضل صالح السّامرّائي، 2005، معاني النّحو، شركة العاتك لطباعة الكتاب، مصر، ج 03، ص 276.

[7] أبو القاسم سعد الله، 2011، الزّمن الأخضر، عالم المعرفة، الجزائر، ص 210.

[8] المرجع نفسه، ص 211.

[9] ينظر جمال الدّين أبي محمّد عبد الله بن يوسف بن هشام، 2000، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح عبد اللّطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ج 02، ص 07.

[10] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 211.

[11] ينظر محمّد الطّاهر بن عاشور، 1984، التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، ج6، ص 46.

[12] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 211.

[13] ينظر فاضل صالح السّامرّائي، معاني النّحو، ج 03، ص 276.

[14] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 211.

[15] ينظر فاضل صالح السّامرّائي ، ج 03/ 277.

[16] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 210.

[17] ينظر محمّد عبد المطّلب، 1994، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر-لونجمان، مصر، ص 281.

[18] ينظر كمال عبد الرّحيم رشيد، 2008، الزّمن النّحويّ في اللّغة العربيّة، دار عالم الثقافة، الأردن، ص 42.

[19] ينظر فاضل صالح السّامرّائي، 2000، الجملة العربيّة والمعنى، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ص135 و136.

[20] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 210.

[21] ينظر عبد المجيد جحفة، 2006، دلالة الزّمن في العربيّة -دراسة النّسق الزّمنيّ للأفعال-، دار تويقال للنّشر، المغرب، ص 96.

[22] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 211.

[23] المرجع نفسه، ص 211.

[24] المرجع نفسه، ص 209.

[25] المرجع نفسه، ص 209.

[26] المرجع نفسه، ص 211.

[26] المرجع نفسه، ص 210.

[27] المرجع نفسه، ص 211.

[28] ينظر علي جابر المنصوري، 2002، الدّلالة الزّمنيّة في الجملة العربيّة، الدّار العلميّة الدّوليّة، الأردن، ص 97.

[29] ينظر كمال رشيد، الزّمن النّحويّ في اللّغة العربيّة، ص 42.

[30] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 210.

[31] ينظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، د ت، معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 12، ص 213.

[32] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 210.

[33] المرجع نفسه، ص 211.

[34] ينظر أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، 1988، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 01، ص 12، وينظر أبو عليّ الفارسي، 1982، المسائل العسكريّة، تحقيق ودراسة محمّد الشّاطر أحمد محمّد أحمد، مطبعة المدني، المؤسّسة السّعوديّة، مصر، ص 102، وينظر جلال الدّين السّيوطي، 1998، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، شرح وتحقيق أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، لبنان، ج 01، ص 30.

[35] ينظر تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 241.

[36] ينظر فاضل صالح السّامرّائي، معاني النّحو، ج 04، ص27 وما بعدها.

[37] أبو القاسم سعد الله، الزّمن الأخضر، ص 209.

[38] ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج 04، ص 60.

[39] أبو القاسم سعد الله ، الزّمن الأخضر، ص 211.